

الرَّسَالَة ٤٩

أَرَجُلٌ مِثْلِي يَهْرُبُ؟!

(Arabic - Should a man like me run away?)

أحبائي: حديثنا اليومَ موضوعُهُ: أَرَجُلٌ مِثْلِي يَهْرُبُ؟

ومنَ سفرِ نَحْمِيَا الأصْحاحِ السَّادِسِ نقرأُ العَدَدَيْنِ العَاشِرِ والحَادِي عَشَرَ:

"وَدَخَلْتُ بَيْتَ شَمْعِيَا وَهُوَ مُغْلَقٌ فَقَالَ: لِنَجْتَمِعْ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ إِلَى وَسَطِ الْهَيْكَلِ وَنَقْفَلُ أَبْوَابَ الْهَيْكَلِ!. لِأَتُهُمْ يَا تَوْنَ لِيَقْتُلُوكَ!. فِي اللَّيْلِ يَا تَوْنَ لِيَقْتُلُوكَ!. فَقُلْتُ: أَرَجُلٌ مِثْلِي يَهْرُبُ؟! وَمَنْ مِثْلِي يَدْخُلُ الْهَيْكَلَ فَيَحْيَا؟! لا أَدْخُلُ!"^١

لقد وُلِدَ نَحْمِيَا فِي السَّبْيِ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ تَارِيخَ شَعْبِهِ: أَنَّهُمْ عَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَلَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَى تَحذِيرِ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ. فَتَخَلَّتْ يَدُ اللَّهِ عَنْهُمْ وَأَصَابَهُم الضَّعْفُ لِذَلِكَ تَخَاذَلُوا أَمَامَ قُوَّةِ الْعَدُوِّ. وَبَطَشَ بِهِمْ نَبُوخَذَنْصَرُ مَلِكُ بَابِلَ وَأَحْرَقَ بَيْتَ اللَّهِ مَكَانَ عِبَادَتِهِمْ وَهَدَمَ سُورَ أُورُشَلِيمِ الْحَصِينَ وَأَحْرَقَ جَمِيعَ قُصُورِهَا بِالنَّارِ. وَسَبَى الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السِّيْفِ إِلَى بَابِلَ فَكَانُوا لَهُ وَلِبَنِيهِ عِبِيدًا.. ثُمَّ جَاءَتْ مَمْلَكَةُ فَارِسَ وَبَقِيَ الشَّعْبُ مَسْنِيًّا مُسْتَعْبَدًا. وَلَكِنْ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ مِنْ وُجُودِ رِجَالٍ أَتَقِيَاءَ بَيْنَ شَعْبِ اللَّهِ الْمَسْبِيِّ.. أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ فَوَجَدُوا نِعْمَةً فِي أَعْيُنِ مُلُوكِ بَابِلَ وَفَارِسَ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ نَحْمِيَا.. وَأَمَانَتِهِ شَغَلَ مَسْئُولِيَّةَ عَمَلٍ عَظِيمٍ دَاخَلَ قِصْرَ الْمَلِكِ الْفَارِسِيِّ أَرْتَحَشْتَنَا.. فَلَقَدْ كَانَ مَسْئُولًا عَنْ الشُّؤْنِ الْخَاصَّةِ بِالْمَلِكِ وَعَنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ.. فِي تِلْكَ الْعُصُورِ كَانَ الْأَعْدَاءُ يَدُسُّونَ السَّمَّ لِلْمُلُوكِ.. فَاخْتَارَ الْمَلِكُ أَرْتَحَشْتَنَا نَحْمِيَا الَّذِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِسَمْعَةٍ طَيِّبَةٍ كَي يَحْتَلَّ مَكَانَ الصَّدَارَةِ فِي الْقِصْرِ الْمَلِكِيِّ.. كَانَ نَحْمِيَا مُخْلِصًا فِي عَمَلِهِ وَأَدَارَ شُؤْنِ الْقِصْرِ بِحِكْمَةٍ وَحُسْنِ تَدْبِيرٍ فَحَازَ تَقْدِيرَ الْمَلِكِ أَرْتَحَشْتَنَا لَهُ.

وَضَعَ الْمَلِكُ ثِقَتَهُ فِيهِ وَتَمَتَّعَ نَحْمِيَا بِمَرْكَزٍ مُمْتَازٍ فِي شَوْشَنَ الْقِصْرِ.. حَتَّى جَاءَتْهُ الْأَنْبَاءُ يَوْمًا مَا "أَنَّ الْبَاقِيْنَ الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّبْيِ هُنَاكَ فِي الْبِلَادِ هُمْ فِي شَرِّ عَظِيمٍ وَعَارٍ! وَسُورُ أُورُشَلِيمِ مُنْهَدِمٌ وَأَبْوَابُهَا مَحْرُوقَةٌ بِالنَّارِ". إِنَّ أَوَّلَ مَا لِيُفْتَتِحَ النَّظَرَ هُوَ تَأْتِيرُ الْأَخْبَارِ غَيْرِ السَّارَةِ عَلَى نَحْمِيَا فَهُوَ يَقُولُ: "لَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْكَلَامَ جَلَسْتُ وَبَكَيْتُ وَنَحْتُ أَيَّامًا. وَصُمْتُ وَصَلَّيْتُ أَمَامَ إِلَهِ السَّمَاءِ". وَفِي صَلَاتِهِ يَقُولُ: "إِيَّهَا الرَّبُّ لَتَسْمَعَنَّ صَلَاةَ عَبْدِكَ الَّذِي يُصَلِّي الْأَنَ إِلَى إِلَيْكَ نَهَارًا وَلَيْلًا" ثُمَّ يَقُولُ: "فَإِنِّي أَنَا وَبَيْتُ أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا لَقَدْ أَفْسَدْنَا أَمَامَكَ وَلَمْ نَحْفَظِ الْوَصَايَا". تَرَكَ نَحْمِيَا قِصْرَ الْمَلِكِ الْفَارِسِيِّ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ أَنَّ أُورُشَلِيمَ سُورُهَا مُنْهَدِمٌ وَأَبْوَابُهَا مَحْرُوقَةٌ بِالنَّارِ.. وَذَهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُنَبِّئَ السُّورَ الْمُنْهَدِمَ وَيُعَمِّرَ الْخَرَابَ وَيَقُودَ شَعْبَهُ مِنْ ضَلَالٍ طَرِيقَهُمْ وَشَرَّهُمْ إِلَى طَرِيقِ الرَّبِّ لِيَحْفَظُوا وَصَايَاهُ.

ضَاقَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ وَتَعْقَبُوهُ لِيَقْتُلُوهُ لَمَّا رَأَوْهُ وَقَدْ اسْتَأْنَفَ بِنَاءَ سُورِ أُورُشَلِيمِ الْمُنْهَدِمِ.. خَافُوا لئِلا يَتَعَمَّرَ أُورُشَلِيمَ تَكُونُ خَطْرًا عَلَيْهِمْ لِذَلِكَ اسْتَأْجَرُوا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِ نَحْمِيَا لِيَتَكَلَّمَ بِنَبْوَةٍ كَاذِبَةٍ.. وَادَّعَى أَنَّ نَبْوَتَهُ مِنَ اللَّهِ وَنَصَحَ نَحْمِيَا كَي يَخْتَبِي فِي الْهَيْكَلِ بَعْدَ قَفْلِ أَبْوَابِهِ.. وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ ذَلِكَ الْخَائِنَ أَرَادَ بِحِيلَتِهِ الْمَاكِرَةَ أَنْ يَنْصُبَ لِنَحْمِيَا فِخَا دَاخِلَ الْهَيْكَلِ لِيُسَلِّمَهُ لِأَعْدَائِهِ نَظِيرَ مَا لَعَدَّهُ بِهِ الْأَعْدَاءُ. وَلَكِنْ نَحْمِيَا أَدْرَكَ الْحِيلَةَ وَكَتَبَ يَقُولُ: فَتَحَقَّقْتُ وَهُدَا لَمْ يُرْسِلَهُ اللَّهُ!. وَقَالَ هَذَا الْقَوْلَ الْمَأْتُورَ: "أَرَجُلٌ مِثْلِي يَهْرُبُ؟!". وَتَحَذَّرَ نَحْمِيَا.. لِذَا يَجِبُ أَلَّا نَصَدِّقَ كُلَّ مَا يُقَالُ لَنَا.. فَالْكَتَابُ يُحذِّرُنَا بِالْقَوْلِ: "امْتَحِنُوا الْأَرْوَاحَ".. فَلَيْسَ كُلُّ مَا نَسْمَعُ صِدْقًا حَتَّى لَوْ صَدَرَ مِنْ أَنَاسٍ نَحْسِبُهُمْ رِجَالًا لِلَّهِ.. قَالَ نَحْمِيَا: "أَرَجُلٌ مِثْلِي يَهْرُبُ؟!". لَيْسَ الْهَرُوبُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَيْنًا فَالْهَرُوبُ مِنَ الشَّرِّ فَضِيلَةٌ.. وَلَكِنْ مَا قَصَدَهُ نَحْمِيَا هُوَ أَنَّ الْهَرُوبَ مِنْ مِيدَانِ الْمَسْئُولِيَّةِ فِي وَقْتِ نَحْنُ فِيهِ مُنْقَلُونَ بِعَمَلِ اللَّهِ لَيْسَ مِنْ شَيْمِ رِجَالِ اللَّهِ.. قَالَ نَحْمِيَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ رَجَالِهِ: "إِنَّهُمْ بِالْيَدِ الْوَاحِدَةِ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ وَبِالْأُخْرَى يَمْسِكُونَ السِّلَاحَ وَلَمْ أَكُنْ أَنَا وَلَا إِخْوَتِي وَلَا غِلْمَانِي وَلَا الْحَرَّاسَ الَّذِينَ وَرَأَيْ نَخْلَعُ ثِيَابَنَا.. كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَذْهَبُ بِسِلَاحِهِ إِلَى الْمَاءِ!".. وَأَوَدَّ أَنْ أَسْرَدَ بِاخْتِصَارٍ سَبْعَةَ دُرُوسٍ نَسْتَخْلِصُهَا وَنَحْنُ نَلْقَى الضُّوَاءَ عَلَى شَخْصِيَّةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ.^٢

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر نحيميا ٦: ١٠ - ١٢ ، رسالة بولس الرسول الأولى ٤: ١ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس ١٢: ١٠ ، سفر نحيميا ٤: ١٧ - ٢٣

أولاً: رَجَلٌ اللهُ نَحْمِيَا لَمْ يَفْصِلْ نَفْسَهُ عَنِ بَاقِي شَعْبِهِ لِيُبْرِئَهَا وَلِيَدِينَهُمْ.. ولكنَّهُ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: أَنَا وَبَيْتُ أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا وَأَفْسَدْنَا أَمَامَكَ وَلَمْ نَحْفَظِ الْوَصَايَا.. ثُمَّ يُعَبِّرُ فِي صَلَاتِهِ عَنِ إِيمَانِهِ الْوَاقِعِ بِالرَّبِّ قَائِلًا: "إِذَا رَجَعْتُ شَعْبَكَ عَنْ ضَلَالِ طَرِيقِهِ وَحَفِظَ الْوَصَايَا تَعُوذُ وَتَرْحَمُهُمْ!.. ثُمَّ يَسْأَلُ الرَّبَّ طَلِبَتَهُ: "وَاعْظُ النَّجَاحَ الْيَوْمَ لِعِبْدِكَ وَامْتَحِنُهُ رَحْمَةً أَمَامَ هَذَا الرَّجُلِ" يَقْصِدُ الْمَلِكُ أُرْتَحَسْتَنَا!". يَا لَهُ مِنْ نَمُودِجٍ رَائِعٍ لِلصَّلَاةِ الْمُقْتَدِرَةِ!

ثانياً: الالْتِجَاءُ إِلَى إِلَهِ السَّمَاءِ عَلَى الدَّوَامِ وَالاعْتِمَادُ عَلَى مَوَاعِيدِ اللَّهِ وَالتَّمَسُّكُ بِهَا.. فحين سأل الملك نَحْمِيَا لماذا هو مكتئب القلب؟!.. حَدَّثَهُ عَنِ أُورُشَلِيمَ وَسُورِهَا الْمُنْهَدِمِ وَأَبْوَابِهَا الْمَحْرُوقَةِ بِالنَّارِ فَسأله الملك: ماذا طالب أنت؟.. فإذا بنَحْمِيَا يَقُولُ: فَصَلَّيْتُ إِلَى السَّمَاءِ.. رَفَعْتُ نَحْمِيَا صَلَاةً طَالِيًا حِكْمَةً أَثْنَاءَ حَدِيثِهِ مَعَ الْمَلِكِ!

ثالثاً: إِنَّ الصَّلَاةَ لَا تَتَحَدَّدُ بِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ أَوْ مَوْقِفٍ.. كَانَ نَحْمِيَا يُوجِّهُ مُشْكَلتَيْنِ. الْأُولَى: مَا سَمِعَهُ عَنِ شَعْبِهِ أَنَّهُمْ فِي شَرٍّ عَظِيمٍ وَعَارٍ.. وَهَذَا مَا صَلَّى مِنْ أَجْلِهِ إِلَى إِلَهِ السَّمَاءِ فِي انْكِسَارٍ وَتَذَلُّلٍ. إِنَّ الصَّلَاةَ لَا تَتَحَدَّدُ بِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ أَوْ مَوْقِفٍ.. كَانَ نَحْمِيَا أَمَامَ الْمَلِكِ أَمَا قَلْبُهُ فَمُتَّجِهٌ نَحْوَ الْمَلِكِ السَّمَوِيِّ. وَالمُشْكَلةُ الثَّانِيَةُ تَتَحَصَّرُ فِي سُورِ أُورُشَلِيمَ الْمُنْهَدِمِ وَأَبْوَابِهَا الْمَحْرُوقَةِ بِالنَّارِ. وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ نَحْمِيَا أَمَامَ الْمَلِكِ الْأَرْضِيِّ. كَانَ نَحْمِيَا حَكِيمًا جَدًّا!

رابعاً: حَفِظْ أَسْرَارَ الْأَخْرَيْنِ وَصِيَانَةَ أَسْنِنَتِنَا مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ نِقَائِصِهِمْ.. إِنَّ جَزَارَ لَنَا أَنْ نَحَدِّثَ الْأَخْرَيْنِ بِمَا نَعَانِي مِنْ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ.. فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَشْهَرَ بِأَخْطَاءِ إِخْوَتِنَا بَلْ نَأْتِيَ بِهَا أَمَامَ الْأَبِ السَّمَوِيِّ وَقَلْبِ مُنْكَسِرٍ لِيَعْمَلَ اللَّهُ بِرُوحِهِ الْقُدُوسِ فِيْنَا وَفِي إِخْوَتِنَا وَهَذَا مَا فَعَلَهُ نَحْمِيَا.. فَمَا أَعْلَنَهُ أَمَامَ الرَّبِّ فِي صَلَاتِهِ لَيْسَ هُوَ الَّذِي شَارَكَ بِهِ الْمَلِكُ.. فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نَحْفَظَ أَسْرَارَ الْأَخْرَيْنِ وَنَصُونُ أَسْنِنَتِنَا مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ نِقَائِصِهِمْ.. فَكَلْنَا فِي الْمَوَازِينِ إِلَى فَوْقِ!.. وَحِينَ بَدَأَ نَحْمِيَا الْعَمَلَ تَصَرَّفَ بِحِكْمَةٍ وَوَضَعَ خُطَّةً سَلِيمَةً لِإِتْمَامِهَا بِكَفَاءَةٍ إِذْ طَلَبَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَقُومَ بِبِنَاءِ جُزْءٍ مِنَ السُّورِ الَّذِي يُعَابَلُ بَيْتِهِ.¹

خامساً: أَنْ يَقُومَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِبِنَاءِ سُورٍ مُقَابِلَ بَيْتِهِ.. الْعَمَلُ الْعَظِيمُ أَنْ تَكُونَ بُيُوتُنَا مُحَصَّنَةً.. فَلَوْ عَشْنَا قُدُوةً طَيِّبَةً لِأَوْلَادِنَا وَبِنَاتِنَا وَتَحْفَظْنَا مِنَ الْمُغْرِبَاتِ الْعَالَمِيَّةِ.. تَعَدَّرَ عَلَى إِبْلِيسَ أَنْ يَجِدَ ثَغْرَةً لِيُوجِّهَ مِنْهَا سَهَامَهُ عَلَيْهِمْ.. وَمَا وَاجَهُوا تِلْكَ الْمَشَاكِلَ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا الْجِبِلَ الْجَدِيدَ فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ.. طَلَبَ الْأَعْدَاءُ مِنْ نَحْمِيَا أَنْ يَأْتِيَ وَيَفَاوِضُهُمْ أَثْنَاءَ بِنَائِهِ السُّورِ فَقَالَ: إِيَّيْ أَنَا عَامِلٌ عَمَلًا عَظِيمًا فَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَنْزَلَ.. لَمْ يَرَ نَحْمِيَا عَمَلَهُ الْعَظِيمَ فِي شَوْشِنِ الْقَصْرِ.. وَلَكِنْ رَأَى فِي بِنَاءِ السُّورِ الْمُنْهَدِمِ وَقِيَادَةِ الشَّعْبِ لِلْاعْتِرَافِ بِالْخَطِيئَةِ وَالْعُودَةِ إِلَى اللَّهِ.

سادساً: فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُنَا.. حِينَ أْتَمَّ نَحْمِيَا وَرَجَالُهُ بِنَاءَ السُّورِ رَأَى نَحْمِيَا لَزُومَ بِنَاءِ سُورٍ رُوحِيٍّ يَحْمِي الشَّعْبَ.. فَاتَى عَزْرَا الْكَاهِنَ بِالشَّرِيعَةِ أَمَامَ الْجَمَاعَةِ مِنْ رَجَالٍ وَنِسَاءٍ وَأَوْلَادٍ.. وَاسْتَمَرَ يَقْرَأُ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ. فَاجَابَ الشَّعْبُ آمِينَ. رَافِعِينَ أَيْدِيَهُمْ وَخَرُّوا وَسَجَدُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ. وَفَسَّرَ عَزْرَا وَنَحْمِيَا وَأَخْرُونَ. وَأَفْهَمُوا الشَّعْبَ كُلَّ مَا جَاءَ فِي كَلَامِ اللَّهِ.. وَحِينَ بَكَى الشَّعْبُ وَنَاحَ لَمْ يَبْتَرِكْهُمْ نَحْمِيَا وَعَزْرَا أَنْ يَبْسُتَمِرُوا فِي أَحْزَانِهِمْ.. فَقَالَ لَهُمْ نَحْمِيَا: لَا تَحْزَنُوا لِأَنَّ فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ.. لِيَكُونَ عَمَلُنَا عَظِيمًا يَجِبُ أَنْ نَنْتَمَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ فِي حَيَاتِنَا وَحَيْثُ أَوْجَدْنَا الرَّبَّ.. فَلَيْسَتْ الْعَيْرَةُ بِنُوعِيَةِ الْعَمَلِ.. بَلْ بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ وَأَنْ يَكُونَ هَدْفُنَا مَجْدَ اللَّهِ.²

سابعاً: الرَّبُّ هُوَ مَصْنَرُ السَّلَامِ وَالْفَرَحِ الْحَقِيقِيِّ.. إِنَّ هَدَفَ رُوحِ اللَّهِ مِنْ كَشْفِ الْخَطِيئَةِ أَمَامَ الْخَاطِئِ لَيْسَ لِيَحْزَنَ وَيَسْتَرْسِلَ فِي الْأَحْزَانِ.. بَلْ لِقِيَادَتِهِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ.. لِذَلِكَ لَمْ يَبْتَرِكْهُمْ نَحْمِيَا وَعَزْرَا لِيَبْسُتَمِرُوا فِي أَحْزَانِهِمْ بَلْ قَالَا لَهُمْ: لَا تَحْزَنُوا لِأَنَّ فَرَحَ الرَّبِّ هُوَ قُوَّتُكُمْ.. شُكْرًا لِلرَّبِّ فَهُوَ مَصْنَرُ السَّلَامِ وَالْفَرَحِ الْحَقِيقِيِّ.

أخي المحبوب: لِيَتِكَ تَشْتَرِكُ مَعِي فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَوِيِّ.. أَسْأَلُكَ كَيْ تَجْعَلَ مِنِّي رَجُلًا ذَا غَيْرَةٍ لِبِنَاءِ السُّورِ الْمُنْهَدِمِ. اجْعَلْ مِنِّي رَجُلًا كَنَحْمِيَا مَسْرَتُهُ لَيْسَ فِي مَرْكَزِ بَقْصَرٍ.. بَلْ رَبِّي اجْعَلْ مَسْرَتِي لَا بِمَرْكَزِ عَالَمِيٍّ أَصِلُ إِلَيْهِ. إِذْ يَكْفِينِي مَرْكَزًا أَنْ تَكُونَ لِي رِبًّا وَأَنَا لَكَ عَبْدًا.. فَأَحْيَا لِتَمَجِيدِ اسْمِكَ.. مُتَمَمًا مَشِيئَتَكَ عَامِلًا بِوَصَايَاكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي أَمَامَ عَرْشِكَ الْأَسْنَى وَاتِّقًا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ يَا مَنْ قَلْتُ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنَّ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ سفر نحيا ١: ٣ - ١١ & ٢: ٢ - ٢٠ - ٤: ٤ - ٧ - ٢٣ & ٦: ٣

² سفر نحيا ٣: ٢٨ & ٨: ١٠